مع المنظمة في البحث في الاساسيات، يعني، عملياً، منح اسرائيل المزيد من الوقت كي تحاول خلاله استيعاب الانتفاضة، وربما قمعها، خصوصاً وان ثمّة مؤشرات الى دعم اميركي لاجراءات اسرائيلية جديدة، ليس آخرها غلق جميع السبل امام وصول الدعم المادي الى الارض المحتلة لتغطية قدرة الأهالي على تحمّل المعاناة المترتبة على استمرار الانتفاضة. وهو يعني، ثانياً، ان هناك من المسؤولين الاميركيين من لا يزال يراهن على نشوء قيادات محلية «بديلة» في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، تحل تدريجياً مكان المنظمة كمحاور فلسطيني؛ ويعني هذا الكلام، أخيراً، ان هناك من المسؤولين الاميركيين من لا يزال يعتبر المنظمة طرفاً «خارجياً» في ما يتعلق بحل النزاع.

هذه «الرهانات» التي تتبنّاها واشنطن، حالياً، ليست مبنيّة، قطعاً، على فراغ، وانما، وهنا مكمن الخطورة، عن امر آخر يمكن استشفافه، وهو ادارة الظهر لمبدأ المؤتمر الدولي. وفي التفكير الاميركي، ان لهذه الرهانات ما يبرّرها، خصوصاً وان توجه الادارة الرئيس يتركز على السماح لمفاوضين «محليين» ببدء عملية التفاوض مع اسرائيل حول ترتيبات «المرحلة الانتقالية» في معالجة القضية الفلسطينية، مروراً بمواكبة ما للمنظمة في تحقيق هدف اقامة الانتخابات البلدية، وانتهاء برعاية اميركية ـ سوفياتية للتسوية النهائية. فان كانت المرحلة الاولى مرحلة حوار «داخلي»، والثانية مرحلة حوار «اقليمي»، فالتسوية النهائية لن تأتي الاّ في مرحلة ثالثة واخيرة، ومشروطة بنجاح الخطوتين الاوليين.

يدفع هذا الامر بنا الى التأكيد ان موجة التفاؤل الفلسطينية التي ما تزال اصداؤها قائمة لها ما يبررها حين يتعلق الامر بما انجزه الجانب الفلسطيني على ساحته، وبما انتهى الى رسمه من مواقف تخصه، الاّ ان ثمة، اليوم، ما يستدعي القلق، حين يتعلق الامر برصد العوامل الأخرى المحيطة. ولعل هذا يطرح على الحركة الفلسطينية ان تدقق، ملياً، في شروط الحوار، وان تدقق، ملياً، كذلك، في تحديد قواعد اللعبة، وان تعمد الى الأخذ بالمبادأة، وهو الامر الذي وضعها، لما يربو عن ربع قرن، على خارطة المنطقة.